منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى توحيد رب العالمين

د. حسين حميد عباس بشير(*)

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد،،،

إن علم التوحيد أشرف العلوم وأفضلها، وأرفعها مكانة وأجلها؛ إذ شرف العلم بشرف المعلوم، فالله –ﷻ– خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب السماوية لبيان هذه الحكمة والدعوة إليها، ولقد أكدت الشرائع السماوية المختلفة على عظم هذه الحقيقة قال تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾**(1)، ولقد تنوعت أساليب ومناهج وطرق عرض هذه الدعوة من نبي إلى نبي، ومن رسول إلى رسول، ومن قوم إلى قوم، ولقد أرسل الله عز وجل سيدنا محمد –ﷺ– خاتماً للأنبياء والرسل وأنزل عليه القرآن هدى وشفاء ورحمة للمؤمنين، وداعياً إلى عقيدة التوحيد متبعًا في ذلك منهجًا خاصًّا يناسب جميع الناس مراعاة لتنوع أفكارهم ومشاربهم وشبههم.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في اشتمال القرآن الكريم على أساليب وطرق متنوعة وعديدة من أساليب البرهان والاستدلال العقلية في إثبات قضايا العقيدة والرد على الخصوم.

(*) **د. حسين حميد عباس بشير**: أستاذ مساعد– كلية التربية– جامعة عمر المختار.

(1) سورة الأنبياء: آية 25.

(ISSN : 2536 - 9555)

أسباب اختيار الموضوع:

– تعلق هذا الموضوع بكتاب الله –ﷻ– وسنة نبيه –ﷺ– وهما أجل العلوم وأشرفها.

– الكشف عن الطرائق والأساليب القرآنية في الاستدلال، وإقامة الحجج والبراهين العقلية في إثبات قضايا العقيدة والرد على الخصوم.

– إبراز بعض مناهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى توحيد الله ﷻ.

– الاقتداء والتأسي بالمنهج الرباني في الدعوة والابتعاد عن غيره من مناهج المبتدعين.

أهداف البحث:

– دراسة حجج وأدلة القرآن في إثبات بعض الحقائق الغيبية.

– تحديد وجوه الإعجاز الواردة في منهج القرآن الكريم في الاستدلال على وحدانية الله –ﷻ–.

– الاستفادة من منهج القرآن في الاستدلال على وحدانية الله –ﷻ–.

منهج البحث:

سيتبع الباحث المنهج التحليلي الاستنباطي لمناسبته لأهداف البحث.

خطة البحث:

تمَّ تقسيم البحث إلى مقدِّمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة متضمنة أهم النتائج، وفهرس للمصادر والمراجع.

المقدمة:

وقد تناولت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره وهدفه والمنهج المستخدم في الدراسة ثم هيكلية البحث.

أما التمهيد:

فيتناول مفهوم المنهج لغة واصطلاحاً وأنواع منهاج الدعوة.

المبحث الأول- المنهج العاطفي في الدعوة إلى توحيد الله -ﷻ-:

وينقسم إلى ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: أسلوب الموعظة الحسنة.

المطلب الثاني: التذكير بآلاء الله على عباده المستوجبة شكره.

المطلب الثالث: الترغيب والترهيب.

وجاء المبحث الثاني بعنوان- المنهج العقليفي الدعوة إلى توحيد الله -ﷻ- ويتضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: ضرب الأمثال.

المطلب الثاني: أسلوب سرد القصص.

المطلب الثالث: الجدل والمناظرة والحوار.

أما المبحث الثالث- فقد جاء بعنوان: المنهج الحسي في الدعوة إلى توحيد الله -ﷻ- ويشتمل على مطلبين هما:

المطلب الأول: لفتُ الحِسّ إلى التعرف على المحسوسات، للوصول عن طريقها إلى القناعات.

المطلب الثاني: تأييد الأنبياء والمرسلين عليهم السلام بالمعجزات الحسية.

الخاتمة:

وقد اشتملت على أهم النتائج.

المصادر والمراجع.

التمهيد

1. **المنهج لغة:**

النهج والمنهج والمنهاج: الطريق الواضح المستقيم[2].

(2) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، لبنان، د.ت. صـ 681؛ الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،

(ISSN : 2536 - 9555)

2. **المنهج اصطلاحًا:**

هو طريق البحث عن الحقيقة في أي علم من العلوم، أو في أي نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية[3].

وقيل هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة[4].

أنواع مناهج الدعوة:

تتنوع مناهج الدعوة لتنوع الفطرة الإنسانية، فمنها المرتكز على القلب ويسمى بالمنهج العاطفي، ومنها المرتكز على العقل ويسمى بالمنهج العقلي، والمرتكز على الحس ويسمى بالمنهج الحسي.

1. **المنهج العاطفي:**

هو مجموعة من الأساليب الدعوية التي ترتكز القلب وتحرك الشعور والوجدان[5].

ولقد اشتمل القرآن الكريم على حقائق هذا المنهج يقول تعالى: **﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾**[6].

دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ – 1987م، انظر 346/1؛ جمهرة اللغة: لأبي بكر الأزدي (ت: 321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م، انظر 498/1.

(3) نشأة الفكر الفلسفي عند المسلمين، علي سامي النشار، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1965م، صـ 7.

(4) مناهج البحث العلمي، لعبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1968م، صـ5.

(5) المدخل الى علم الدعوة، لمحمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1412هـ، صـ 204.

(6) سورة النساء: آية 147.

يقول أبو السعود في تفسيره: "أي شيء يفعل الله سبحانه بتعذيبكم أيتشفى به من الغيظ، أم يدرك به الثأر، أم يستجلب به نفعاً، أم يستدفع به ضرراً كما هو شأن الملوك وهو الغنى المتعالي عن أمثال ذلك وإنما هو أمر يقتضيه كفركم فإذا زال ذلك بالإيمان والشكر انتفى التعذيب لا محالة، وتقديم الشكر على الإيمان لما أنه طريق موصل إليه فإن النظر يدرك أولاً ما عليه من النعم الأنفسية فيشكر شكراً مبهماً ثم يترقى إلى معرفة المنعم فيؤمن به"[7].

2. **المنهج العقلي:**

هو مجموعة من الأساليب الدعوية التي ترتكز على العقل وتدعو إلى التفكير والتدبر والاعتبار[8].

ومما تجدر الإشارة إليه أن القرآن الكريم استخدم المنهج العقلي في الاستدلال على كثير من قضاياه بعيداً عن الأساليب المنطقية المعقدة، والطرق الفلسفية الغريبة، قال السيوطي: "قَدِ اشْتَمَلَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ عَلَى جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْبَرَاهِينِ وَالْأَدِلَّةِ وَمَا مِنْ بُرْهَانٍ وَدَلَالَةٍ وَتَقْسِيمٍ وَتَحْذِيرٍ يُبْنَى مِنْ كُلِّيَّاتِ الْمَعْلُومَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَالسَّمْعِيَّةِ إِلَّا وَكِتَابُ اللَّهِ قَدْ نَطَقَ بِهِ لَكِنْ أَوْرَدَهُ على عادة الْعَرَبِ دُونَ دَقَائِقِ طُرُقِ الْمُتَكَلِّمِينَ لأمرين: **أحدهما:** بِسَبَبِ مَا قَالَهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[9]. **والثاني:** أن المائل إلى طريق الْمُحَاجَّةِ هُوَ الْعَاجِزُ عَنْ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ بِالْجَلِيلِ مِنَ الْكَلَامِ فَإِنَّ مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَفْهَمَ بِالْأَوْضَحِ الَّذِي يَفْهَمَهُ الْأَكْثَرُونَ لَمْ يَنْحَطَّ إِلَى الْأَغْمَضِ الَّذِي لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا الْأَقَلُّونَ وَلَمْ يَكُنْ مُلْغِزًا فَأَخْرَجَ تَعَالَى مُخَاطَبَاتِهِ فِي مُحَاجَّةِ خَلْقِهِ فِي أَجْلَى صُورَةٍ لِيَفْهَمَ الْعَامَّةُ مِنْ جليلها مَا يُقْنِعُهُمْ

(7) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي، (ت: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.، 247/2.

(8) المدخل الى علم الدعوة، لمحمد أبو الفتح البيانوني، صـ152.

(9) سورة إبراهيم: آية 4.

(ISSN : 2536 - 9555)

وَتَلْـزَمُهُمُ الْحُجَّـةُ وَتَفْهَـمَ الْخَـوَاصُّ مِـنْ أَثْنَائِهَـا مَـا يُرَبَّـى عَلَـى مَـا أَدْرَكَـهُ فَهُـمْ الْخُطَبَاءِ[10].

3. **المنهج الحسي:**

هو المنهج الدعوي الذي يرتكز على الحواس، ويعتمد على المشاهدات والتجارب[11].

يقول ابن القيم: "الرب تَعَالَى يَدْعُو عباده فِي الْقُرْآن إِلَى مَعْرفَته من طَرِيقين أَحدهمَا النّظر فِي مفعولاته وَالثَّانِي التفكر فِي آيَاته وتدبّرها فَتلك آيَاته المشهودة وَهَذِه آيَاته المسموعة المعقولة"[12].

المبحث الأول

المنهج العاطفي:

وسوف نتحدث عن هذا المبحث من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول

أسلوب الموعظة الحسنة:

الموعظة لغًة:

العِظَةُ: الموعظة. وَعَظْتُ الرّجلَ أَعِظُهُ عِظَةً وموعظة. واتَّعَظَ: تقبّل العِظَةَ، وهو تذكيرُك إيّاه الخيرَ ونحوَه ممّا يرقُّ له قلبُهُ[13]، يُقَالُ: السَّعِيدُ مَنْ (وُعِظَ) بِغَيْرِهِ

(10) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974م، 60/4.

(11) المدخل الى علم الدعوة، لمحمد أبو الفتح البيانوني، صـ214.

(12) الفوائد: لابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1393 هـ - 1973م، صـ 20

وَالشَّقِيُّ مَنِ (اتَّعَظَ) بِهِ غَيْرُهُ[14]. والوعظ: النصح والتذكير بالعواقب[15]، ويكون بالترغيب والترهيب، والقصص والأخبار، والنظر والاعتبار، وقيل: تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب[16].

الموعظة اصطلاحًا:

هي ذلك الكلام الرقيق المهذب، الذي يمس شغاف القلوب، ويؤلفها، ولا ينفرها، والذي يخاطب بحسنه فطرة الإيمان في كل إنسان، والذي يدخل القلوب برفق، ويمس المشاعر في محبة، وحرص على الخير للمدعوّ[17].

ومما سبق نستطيع القول بأن الموعظة هي الكلام الرقيق المهذب، الذي يحمل في طياته النصح والإرشاد بأسلوب جذاب، يمس القلوب، ويهدي العقول، ويشرح النفوس والصدور، لينير دروب الحائد والتائه والحيران، بالبينة والحجة والبرهان، لعبادة وتوحيد رب الأنام.

أنواع الموعظة:

ينقسم الوعظ إلى قسمين[18]:

---

(13) العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت : 170هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ت، 228/2 مادة (عوذ).

(14) مختار الصحاح، لأبي بكر الرازي (ت: 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية– الدار النموذجية، بيروت– صيدا، ط5، 1420هـ / 1999م، 342/1، مادة (عوذ).

(15) معجم الصحاح، للجوهري (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، لبنان، ط4، 1407 هـ – 1987م، 1181/3؛ لسان العرب، لابن منظور، دار صادر – بيروت، ط3 – 1414 هـ، 466/7.

(16) لسان العرب، لابن منظور، 466/7 .

(17) الرد الجميل على المشككين في الإسلام من القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، لعبد المجيد حامد صبح، دار المنارة للنشر والتوزيع والترجمة، المنصورة – مصر، ط2، 1424هـ – 2003م، صـ25.

(ISSN : 2536 - 9555)

1. **وعظ التعليم:** ويكون ببيان عقائد التوحيد، وبيان الأحكام الشرعية الخمسة: من الواجب، والحرام، والمسنون، والمكروه، والمباح، مع مراعاة ما يناسب كل طبقة، وينبغي أن تساق هذه الأحكام مساق الوعظ، ولا تسرد سرداً خاليًا من وسائل وأساليب التأثير، وأسلوب القرآن على هذا، يبين الحكم مقرونٍا بالترغيب، أو الترهيب، أو الجمع بين الأمرين.

ومن هذا نستطيع أن نقول أن هذا القسم يأخذ بمجامع القلوب، وحينئذ تستقبل العقائد والأحكام برغبة واشتياق للعمل، وبالحذر والخوف من الضلال وطول الأمل.

2. **وعظ التأديب:** ويكون بتحديد الأخلاق الحسنة: كالحلم والأناة، والصبر والكرم، والوفاء، والأمانة... وبيان آثارها ومنافعها على الفرد والمجتمع، والحث على التخلق بها والتزامها، وتحديد وتعريف الأخلاق السيئة: كالغضب، والعجلة، والغدر، والجزع، والجبن، والبخل، والتحذير من الاتصاف بها، وبيان آثارها وسلبياتها على الفرد والمجتمع.

وأسلوب الموعظة الحسنة نص عليه القرآن الكريم نصاً صريحاً وأمر باستخدامه، حيث قال الله تعالى: **(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)**[19]. فهذه الآية الكريمة أصْل عظيم من أصول الدّعوة إلى الله؛ فهي تدعونا إلى الحِكمة في القول، واللِّين في الخطاب، وأدب المجادلة، وحسن الحوار، وسعة الصدر، والإنصات إلى آراء الآخَرين من غير ذمّ وتقريع وتوبيخ، واستعمال أسلوب التوجيه والإرشاد والتذكرة واللين.

---

(18) فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، لسعيد بن علي بن وهب القحطاني، رسالة دكتوراه منشورة، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط1، 1421هـ، 627/1.

(19) سورة النحل: آية 125.

يقول فخر الدين الرازي: قال الله تعالى: "ادْعُ الْأَقْوِيَاءَ الْكَامِلِينَ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ بِالْبَرَاهِينُ الْقَطْعِيَّةُ الْيَقِينِيَّةُ وَعَوَامَّ الْخَلْقِ بِالدَّلَائِلِ الْيَقِينِيَّةُ الْإِقْنَاعِيَّةُ الظَّنِّيَّةُ، وَالتَّكَلُّمُ مَعَ الْمُشَاغِبِينَ بِالْجَدَلِ عَلَى الطَّرِيقِ الْأَحْسَنِ الْأَكْمَلِ"[20].

ومن الموعظة الحسنة ما قاله الله تعالى للأسرى المشركين، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[21]. أي قل لهم- أيها النبي الكريم- إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ إيمانا وتصديقا وعزما على اتباع الحق ونبذ الكفر والعناد يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ من فداء، بأن يخلفه عليكم في الدنيا، ويمنحكم الثواب الجزيل في الآخرة ولقد صدق الله -ﷻ- وعده مع من آمن وعمل صالحا من هؤلاء الأسرى، فأعطاهم الكثير[22].

وهذا غاية الملاينة والملاطفة في دعوتهم إلى الإسلام، وأنّ الله سيعوضهم عن الفدية التي أخذت منهم إن هم أذعنوا للإسلام وآبوا إلى الله-ﷻ- ورسوله-ﷺ.

المطلب الثاني

التذكير بآلاء الله على عباده المستوجبة شكره:

إن الله سبحانه وتعالى قد أنعم على خلقه بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، ومن أعظم فوائد نعم الله تعالى الاستدلال بها على المنعم، فإن فيها الدليل عليه وعلى قدرته وعلمه وحكمته ووحدانيته، فالله تبارك وتعالى منّ علينا بأن جعل لنا السمع

(20) مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي (ت : 606هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط3- 1420 هـ، انظر:287/20.

(21) سورة الأنفال: آية 70.

(22) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط1، 1998م، ينظر: 162/6.

(ISSN : 2536 - 9555)

والأبصار والأفئدة بعد أن أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئًا، ووجه الأنظار وقرر عباده بها ليدفعهم إلى التفكير في مصدرها وموجدها وأنه جدير بالعبادة.

والتذكير بنعم الله يوقظ القلب الغافل، وينبهه إلى ما يرتع فيه الإنسان من خيرات عظيمة ونعم جليلة، فيكون ذلك أدعى للاستجابة لهدي الله، والدخول في طاعته، لذلك ذكر الأنبياء أقوامهم بنعم الله طالبين منهم توحيده ونبذ ما يعبدون من دونه من الأنداد والأوثان(23).

فهي سنة كونية آثرها الله الحكيم في كتابه، وجذب بها قلوب الكثير من عباده، وهدى بها من زاغ عن التصديق بميعاده، واستن بها السائرون على شرعته ومنهاجه.

ولقد سار الأنبياء والرسل السابقين على سيدنا محمد –ﷺ– على هذا النهج القويم فذكروا أقوامهم بنعم الله –ﷻ– عليهم، فسيدنا هود–عليه السلام– ذكر قومه بنعمتين من نعم الله عليهم هما نعمة الاستخلاف من بعد القوم المغرقين قوم نوح، ونعمة القوة الجسمانية التي خصهم الله بها.

قال تعالى على لسان هود –عليه السلام–: **﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**(24).

وصالح–عليه السلام– ذكر قومه بنعمتين من نعم الله تعالى عليهم هما نعمة الاستخلاف من بعد القوم المهلكين قوم عاد، ونعمة بناء القصور في السهل واتخاذ الكهوف في الجبال يقول لقومه: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا

(23) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، لمحمد أحمد ملكاوي، مكتبة دار الزمان، ط1، 1405هـ – 1985م، صـ230 .

(24) سورة هود: آية 69.

قُصُوراً وَتَنْحِتُونالْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾[25].

ونعم الله –ﷻ– على عبادة لا تعد ولا تحصى ويمكن تقسيمها إلى قسمين على النحو التالي:

أولاً– نعم أنعم الله بها على عباده على وجه الإجمال:

ومن الآيات التي تدل على هذا النوع قوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**[26]. يقول فخر الدين الرازي: "اعْلَمْ أَنَّ هَذَا هُوَ النِّعْمَةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي عَمَّتِ الْمُكَلَّفِينَ بِأَسْرِهِمْ وَمَا أَحْسَنَ مَا رَعَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَذَا التَّرْتِيبَ فَإِنَّ الِانْتِفَاعَ بِالْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ حُصُولِ الْحَيَاةِ فَلِهَذَا ذَكَرَ اللَّهُ أَمْرَ الْحَيَاةِ أَوَّلًا ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِذِكْرِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ،... وَأَمَّا قَوْلُهُ (لَكُمْ) فَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَذْكُورَ بَعْدَ قَوْلِهِ خَلَقَ لِأَجْلِ انْتِفَاعِنَا فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَلِيُصْلِحَ أَبْدَانَنَا وَلِنَتَقَوَّى بِهِ عَلَى الطَّاعَاتِ وَأَمَّا فِي الدِّينِ فَلِلِاسْتِدْلَالِ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَالِاعْتِبَارِ بِهَا"[27].

وقوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾**[28].

يَقُولُ تَعَالَى مُنَبِّهًا خَلْقَهُ عَلَى نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بِأَنَّهُ سَخَّرَ لَهُمْ مَا في السموات مِنْ نُجُومٍ يَسْتَضِيئُونَ بِهَا فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ، وَمَا يُخْلَقُ فِيهَا مِنْ سَحَابٍ وَأَمْطَارٍ وَثَلْجٍ وَبَرَدٍ، وَجَعْلِهِ إِيَّاهَا لَهُمْ سَقْفًا مَحْفُوظًا، وَمَا خَلَقَ لَهُمْ فِي

(25) سورة الأعراف: آية 74.
(26) سورة البقرة: آية 29.
(27) مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، 37978/2.
(28) سورة لقمان: آية 20.

(ISSN : 2536 - 9555)

الْأَرْضِ مِنْ قَرَارٍ وَأَنْهَارٍ وَأَشْجَارٍ وَزُرُوعٍ وَثِمَارٍ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ نِعَمَهُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ، وَإِزَاحَةِ الشبَه وَالْعِلَلِ، ثُمَّ مَعَ هَذَا كُلِّهِ مَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ، بَلْ مِنْهُمْ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ، أَيْ: فِي تَوْحِيدِهِ وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ. وَمُجَادَلَتِهِ فِي ذَلِكَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلَا مُسْتَنَدٍ مِنْ حُجَّةٍ صَحِيحَةٍ، وَلَا كِتَابٍ مَأْثُورٍ صَحِيحٍ[29].

وكل ذلك دالّ على أن الله وحده هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له وأنه هو الإله الحق، وأن ما يُدعى من دونه هو الباطل.

ثانياً– نعم أنعم الله بها على عباده وجه التفصيل:

إن القرآن الكريم حافل بالآيات التي تدل على هذا النوع منها قوله تعالى:**﴿الله الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۞ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ الله لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾**[30].

قال الطبري: الله الذي أنشأ السماوات والأرض من غير شيء أيها الناس، وأنزل من السماء غيثا أحيا به الشجر والزرع، فأثمرت رزقا لكم تأكلونه وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ) لتركبونها وتحملون فيها أمتعتكم من بلد إلى بلد (وَسَخَّرَ لَكُمُ الأنْهَارَ) ماؤها شراب لكم، (وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) يتعاقبان عليكم أيها الناس بالليل والنهار، لصلاح أنفسكم ومعاشكم (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ

(29) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (ت: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ – 1999م، 347/6.

وانظر أيضاً:

– الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ – 1964م، انظر 73/14.

(30) سورة إبراهيم: الآيات 32 – 34.

وَالنَّهَارَ) يختلفان عليكم باعتقاب، إذا ذهب هذا جاء هذا بمنافعكم وصلاح أسبابكم، فهذا لكم لتصرّفكم فيه لمعاشكم، وهذا لكم للسكن تسكنون فيه، ورحمة منه بكم، وأعطاكم مع إنعامه عليكم بما أنعم به عليكم من تسخير هذه الأشياء التي سخرها لكم والرزق الذي رزقكم من نبات الأرض وغروسها من كل شيء سألتموه، ورغبتم إليه شيئا[31].

وقال -ﷻ- بعد أن ذكر نعماً كثيرة: **﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ* وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ* وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ* أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ* وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ الله لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الله لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾**[32].

قال ابن كثير: "يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ تَسْخِيرِهِ الْبَحْرَ الْمُتَلَاطِمَ الْأَمْوَاجِ، وَيَمْتَنُّ عَلَى عِبَادِهِ بِتَذْلِيلِهِ لَهُمْ، وَتَيْسِيرِهِ لِلرُّكُوبِ فِيهِ، وَجَعْلِهِ السَّمَكَ وَالْحِيتَانَ فِيهِ، وَإِحْلَالِهِ لِعِبَادِهِ لَحْمَهَا حَيَّهَا وَمَيِّتَهَا، فِي الْحَلِّ وَالْإِحْرَامِ وَمَا يَخْلُقُهُ فِيهِ مِنَ اللَّآلِئِ وَالْجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ، وَتَسْهِيلِهِ لِلْعِبَادِ اسْتِخْرَاجَهَا مِنْ قَرَارِهَا حِلْيَةً يَلْبَسُونَهَا، وَتَسْخِيرِهِ الْبَحْرَ لِحَمْلِ السُّفُنِ الَّتِي تَمْخُرُهُ ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى الْأَرْضَ، وَمَا جَعَلَ فِيهَا مِنَ الرَّوَاسِي الشَّامِخَاتِ وَالْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ، لِتَقِرَّ الْأَرْضُ وَلَا تَمِيدُ، وَجَعَلَ فِيهَا أَنْهَارًا تَجْرِي مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ، رِزْقًا لِلْعِبَادِ، يَنْبُعُ فِي مَوْضِعٍ وَهُوَ رِزْقٌ لِأَهْلِ مَوْضِعٍ آخَرَ، فَيَقْطَعُ الْبِقَاعَ وَالْبَرَارِيَ وَالْقِفَارَ، وَيَخْتَرِقُ الْجِبَالَ وَالْآكَامَ، فَيَصِلُ إِلَى الْبَلَدِ الَّذِي سُخِّر لِأَهْلِهِ. وَهِيَ سَائِرَةٌ فِي الْأَرْضِ يُمْنَةً وَيُسْرَةً، وَجَنُوبًا وَشِمَالًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا، مَا بَيْنَ صِغَارٍ وَكِبَارٍ، وَأَوْدِيَةً تَجْرِي حِينًا وَتَنْقَطِعُ في وقت، وما بين نبع وجمع...

(31) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م، انظر 13،14/16.

(32) سورة النحل: الآيات 14 - 18.

(ISSN : 2536 - 9555)

وَكَذَلِكَ جَعَلَ فِيهَا سُبُلًا أَيْ: طُرُقًا يُسْلَكُ فِيهَا مِنْ بِلَادٍ إِلَى بِلَادٍ، حَتَّى إِنَّهُ تَعَالَى لَيَقْطَعُ الْجَبَلَ حَتَّى يَكُونَ مَا بَيْنَهُمَا مَمَرًّا وَمَسْلَكًا... ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُنَبِّهًا عَلَى عَظَمَتِهِ، وَأَنَّهُ لَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَوْثَانِ، الَّتِي لَا تَخْلُقُ شَيْئًا بَلْ هُمْ يُخْلَقُونَ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ ثُمَّ نَبَّهَهُمْ عَلَى كَثْرَةِ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ أَيْ: يَتَجَاوَزُ عَنْكُمْ، وَلَوْ طَالَبَكُمْ بِشُكْرِ جَمِيعِ نِعَمِهِ لَعَجَزْتُمْ عَنِ الْقِيَامِ بِذَلِكَ، وَلَوْ أَمَرَكُمْ بِهِ لَضَعُفْتُمْ وَتَرَكْتُمْ، وَلَوْ عَذَّبَكُمْ لَعَذَّبَكُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، يَغْفِرُ الْكَثِيرَ، وَيُجَازِي عَلَى الْيَسِيرِ[33].

ومما تجدر الإشارة إليه أن النعمة لابد لها من منعم، وهذه النعم الكثيرة على الإنسان إنما هي من صنع الله الواحد لا شريك له، لذلك وجب على العباد شكر المنعم وتوحيده.

المطلب الثالث

الترغيب والترهيب:

الترغيب لغة:

رَغِبَ يَرْغَبُ رَغْبة إذا حَرَصَ عَلَى الشيءِ، وطَمِعَ فِيهِ، والرَّغْبة: السُّؤالُ والطَّمَع. وأَرْغَبَنِي فِي الشَّيءِ ورغَّبَنِي، بِمَعْنًى. ورَغَّبَه: أَعْطاه مَا رَغِبَ[34].

(33) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، انظر 562/4- 563-564.

(34) لسان العرب، لابن منظور، 422/1؛ مجمل اللغة، لابن فارس (ت: 395هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط2- 1406 هـ - 1986م، انظر 388/1؛ النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (ت: 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى- محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية- بيروت، 1399هـ - 1979م، 237/2.

الترهيب لغة:

رَهِبَ، بِالْكَسْرِ، يَرْهَبُ رَهْبَةً ورُهْباً، بِالضَّمِّ، ورَهَباً، بِالتَّحْرِيكِ، أَي خافَ، ورَهِبْتُ الشَّيءَ أَرْهَبُهُ رَهَباً ورَهْبَةً، أي: خفته. وأَرْهَب فلاناواسترهبه، إذا أخافَه[35].

الترغيب اصطلاحًا:

هو كل ما يشوق المدعوّ إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[36].

والترهيب اصطلاحًا:

كل ما يخيف ويحذر المدعوَّ من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله[37].

وهذا الأسلوب نافع مع أكثر الناس الذين لا يأتون إلى الحق إلا بترغيبهم بنتائج إيمانهم أو تخويفهم عواقب كفرهم، والقرآن الكريم حافل بما يرغِّب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب.

قال تعالى: **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾**[38]، وقوله تعالى: **(قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ**

(35) لسان العرب، لابن منظور، انظر 436/1؛ العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، انظر 47/4؛ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (ت 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط4، 1407هـ – 1987م، انظر 140/1.

(36) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، 1421هـ-2001م، صـ437.

(37) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(38) سورة النور: آية 55.

(ISSN : 2536 - 9555)

وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[39]. وقوله تعالى: **﴿وَأَلَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾**[40].

ويقول تعالى في الترهيب: **﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾**[41]، وقوله تعالى: **(فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾**[42] وقوله تعالى: **﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾**[43].

وكثيرا ما يقرن الله– ﷻ– بين الترغيب والترهيب في القرآن، كما قال تعالى: **(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[44]، وقال تعالى: **﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**[45]، وقال تعالى: **﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ* وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾**[46]، وقال تعالى: **﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ* إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ* وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾**[47].

---

(39) سورة نوح: الآيات 10–12.
(40) سورة الجن: آية 16.
(41) سورة الأنعام: آية 6.
(42) سورة محمد: آية 10.
(43) سورة فصلت :آية 13.
(44) سورة الأنعام: آية 165.
(45) سورة الرعد: آية 6.
(46) سورة الحجر: الآيات 49–50.
(47) سورة البروج: الآيات 12–14.

فهذا أسلوب من الأساليب التي اعتمد عليها القرآن الكريم، في إثبات وحدانية الله-ﷻ- لما له من تأثير على النفس البشرية المجبولة على محبة ما ينفعها، ومن ثم الإقبال عليه، وكره ما يضرها والنفور منه.

المبحث الثاني

المنهج العقلي في الدعوة إلى توحيد الله -ﷻ-

وسوف نتحدث عن هذا المبحث من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول

ضرب الأمثال

من الوسائل التي استعملها القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى وحدانية الله-ﷻ- ضرب الأمثال للتذكير والوعظ والاعتبار، ولإيضاح المعنى الخفى، وتقريب الشيء المعقول من الشيء المحسوس، وعرض الغائب في صورة المشاهد؛ فيكون المعنى الذي ضرب له المثل أوقع في القلوب، وأثبت في النفوس، وأسرع في الفهم والامتثال وسوف نكتفي بذكر بعض الأمثلة التي ضربها الله-ﷻ- في كتابه العزيز على النحو التالي:

المثل الأول- كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف:

ضرب الله تعالى مثلاً لمن عبد مع الله غيرَه -ﷻ- كيف يكون مآل أعمالهم، فيقول تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ**﴾[48]، فهذا مثلٌ ضربه الله لأعمال الكفّار فقال: مَثَلُ أعمال الذين كفروا يوم القيامة، التي كانوا يعملونها في الدنيا يزعمُون أنهم يريدون الله بها، مَثَلُ رمادٍ عصفت الريح عليه في

(48) سورة إبراهيم: آية 18.

(ISSN : 2536 - 9555)

يومٍ ريح عاصفٍ، فنسفته وذهبت به، فكذلك أعمال أهل الكفر به يوم القيامة، لا يجدون منها شيئًا ينفعهم عند الله فينجيهم من عذابه، لأنهم لم يكونوا يعملونها لله خالصًا، بل كانوا يشركون فيها الأوثان والأصنام(49).

المثل الثاني– كشجرة طيبة أو خبيثة:

ضرب الله سبحانه وتعالى مثلًا لكلمة التوحيد بالشجرة الطيبة، ومثلًا لكلمة الشرك بالشجرة الخبيثة فقال تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ, تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ, وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾**(50).

فهذا مثل قد ضربه الله تعالى للكلمة الطيبة وهي كلمة التوحيد بِأَنَّ الْمُؤْمِنَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ، لَا يَزَالُ يُوجَدُ مِنْهَا ثَمَرٌ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ صَيْفٍ أَوْ شِتَاءٍ، أَوْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، كَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ لَا يَزَالُ يُرْفَعُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ(51).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾(52)، هَذَا مَثَلُ كُفْرِ الْكَافِرِ، لَا أَصْلَ لَهُ وَلَا ثَبَاتَ، وَشُبِّهَ بِشَجَرَةِ الْحَنْظَلِ، وَيُقَالُ لَهَا: "اَلشِّرْيَانُ"(53).

كَذَلِكَ الْكَافِرُ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَلَا يَصْعَدُ لَهُ قَوْلٌ طَيِّبٌ وَلَا عَمَلٌ صَالِحٌ(54)، فالكافر يَرَى أَنَّ بيده شيئاً، وهو لا يستقرُّ ولا يُغْنِي عنه كهذه الشجرة الذي يُظَنُّ بها عَلَى بُعْدِ أو للجَهْلِ بها أنها شيءٌ نافع، وهي خبيثة الجني غير باقية(55).

(49) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، 554/16.
(50) سورة إبراهيم: الآيات 24– 26.
(51) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 493/4.
(52) سورة إبراهيم: آية 26.
(53) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 493/4.

وفي هذا المثل من الأسرار والعلوم والمعارف ما يليق به ويقتضيه علم الذي تكلم به وحكمته، فمن ذلك أن الشجرة لابد لها من عروق وساق وفروع وورق وثمر فكذلك شجرة الإيمان والإسلام ليطابق المشبه المشبه به، فعروقها العلم والمعرفة واليقين وساقها الإخلاص وفروعها الأعمال وثمرتها ما توجبه الأعمال الصالحة من الآثار الحميدة والصفات الممدوحة والأخلاق الزكية والسمت الصالح والهدى، فيستدل على غرس هذه الشجرة في القلب، وثبوتها فيه بهذه الأمور فإذا كان العلم صحيحا مطابقا لمعلومه الذي أنزل الله كتابه به، والاعتقاد مطابقا لما أخبر به عن نفسه وأخبرت به عنه رسله، والإخلاص قائم في القلب، والأعمال موافقة للأمر، والهدي وَالدَّلُّوالسمت مشابه لهذه الأصول مناسب لها علم أن شجرة الإيمان في القلب أصلها ثابت وفرعها في السماء وإذا كان الأمر بالعكس علم أن القائم بالقلب إنما هو الشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار[56].

المثل الثالث– البلد الطيب والبلد الخبيث:

ضرب الله سبحانه وتعالى مثلًا لقلب المؤمن الموحد بالبلد الطيب، ومثلًا لقلب المشرك الكافر بالبلد الخبيث فقال تعالى: **﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾**[57].

---

(54) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (ت: 510هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1420 هـ، 349/4.

(55) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي (ت: 875هـ)، تحقيق: محمد علي معوض و عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1 – 1418 هـ، 380/3.

(56) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1411هـ – 1991م، ينظر 133/1.

(57) سورة الأعراف: آية 58.

(ISSN : 2536 - 9555)

هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ بِالْأَرْضِ الْخَيِّرَةِ وَالْأَرْضِ السَّبِخَةِ وَشَبَّهَ نُزُولَ الْقُرْآنِ بِنُزُولِ الْمَطَرِ فَشَبَّهَ الْمُؤْمِنَ بِالْأَرْضِ الْخَيِّرَةِ الَّتِي نَزَلَ عَلَيْهَا الْمَطَرُ فَيَحْصُلُ فِيهَا أَنْوَاعُ الْأَزْهَارِ وَالثِّمَارِ وَأَمَّا الْأَرْضُ السَّبِخَةِ فَهِيَ وَإِنْ نَزَلَ الْمَطَرُ عَلَيْهَا لَمْ يَحْصُلْ فِيهَا مِنَ النَّبَاتِ إِلَّا النَّزْرُ الْقَلِيلُ فَكَذَلِكَ الرُّوحُ الطَّاهِرَةُ النَّقِيَّةُ عَنْ شَوَائِبَ الْجَهْلِ وَالْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ إِذَا اتَّصَلَ به نور القرآن ظهرت فيه أَنْوَاعٌ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَارِفِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَالرُّوحُ الْخَبِيثَةُ الْكَدِرَةُ وَإِنِ اتَّصَلَ بِهِ نُورُ الْقُرْآنِ لم يظهر فيه مِنَ الْمَعَارِفِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ إِلَّا الْقَلِيلُ[58].

وهذا المثل ورد في سنة النبي ﷺ عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»[59].

المثل الرابع – الذباب:

ضرب الله تعالى مثلاً آخر في بيان عجز معبودات المشركين وتفاهتها بالذباب الحقير، فقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾**[60].

(58) مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي 291/14.

(59) صحيح البخاري، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ، حديث رقم 79.

(60) سورة الحج: آية 73.

يقول ابن القيم: "حقيق كل عبد أن يستمع لهذا المثل ويتدبره حق تدبره فإنه يقطع موارد الشرك من قلبه، وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده وإعدام ما يضره والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق ذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه فكيف ما هو أكبر منه، ولا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئا مما عليهم من طيب ونحوه فيستنقذونه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوان، ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه فلا أعجز من هذه الآلهة، ولا أضعف منها فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله تعالى، وهذا المثل من أبلغ ما أنزل الله سبحانه في بطلان الشرك وتجهيل أهله وتقبيح عقولهم[61].

وخُصَّ الذُّبَابُ لِأَرْبَعَةِ أُمُورٍ تَخُصُّهُ: لِمَهَانَتِهِ وَضَعْفِهِ وَلِاسْتِقْذَارِهِ وَكَثْرَتِهِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا الَّذِي هُوَ أَضْعَفُ الْحَيَوَانِ وَأَحْقَرُهُ لَا يَقْدِرُ مَنْ عَبَدُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِ مِثْلِهِ وَدَفْعِ أَذِيَّتِهِ فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونُوا آلِهَةً مَعْبُودِينَ وَأَرْبَابًا مُطَاعِينَ. وَهَذَا من أقوى حجة وأوضح برهان[62].

ومم سبق يتضح لنا قيمة هذا الأسلوب البليغ والمعجز في الدعوة إلى وحدانية الله –ﷻ– لما له من قدرة على تقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس، وتشبيه الخفي بالجلي، وعرض الغائب في صورة المشاهد.

المطلب الثاني

أسلوب سرد القصص

إن من أوسع أساليب القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى التوحيد أسلوب القصة، وذلك لما لها من تأثير في النفوس البشرية، وسهولة في الحفظ والانتشار

(61) الأمثال في القرآن، لابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، مكتبة الصحابة– مصر– طنطا، ط1، 1406هـ – 1986م، صـ47.
(62) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 97/12.

(ISSN : 2536 - 9555)

بين الناس، ولقد أكثر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم من القصص التي تتحدث عن الأنبياء وما جرى بينهم وبين أقوامهم، وقصص أخرى تتحدث عن غير الأنبياء، وكلها فيها عبر ودلائل على وحدانية الله، وأنه سبحانه يؤيد الموحدين الأخيار، ويدمر المشركين الفجار بآياته التي تنير القلوب والأبصار. وسنكتفي هنا بإيراد مثالين في هذا الشأن.

أولاً– قصة نوح مع قومه:

دعا نوح عليه السلام قومه إلى تدبر الآيات الكونية والنعم الإلهية عن طريق التفكير في السماوات والأرض والأنهار والشمس والقمر، وعن طريق التفكير في خلقهم أنفسهم، ودلالة ذلك على وحدانية الله تعالى، قال تعالى: **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾**(63).

أقسم الله تبارك وتعالى أنه أرسل نوحًا إلى قومه لإنذارهم، ودعوتهم إلى توحيد الله وعبادته دون سواه، قائلا لهم: توجّهوا بعبادتكم إلى الله وحده لا شريك له؛ لأنه ليس لكم إله غير الله، تتجهون إليه بالعبادة والدّعاء وطلب الخير، إني أخشى عليكم بسبب الشّرك والوثنية عذاب يوم عظيم من عذاب يوم القيامة إذا لقيتم الله، أو من عذاب الدنيا وهو الطّوفان(64). ثم كرر نوح عليه السلام دعوته لقومه وحثهم على نبذ الشرك، فدعاهم بالليل والنهار، ودعاهم بالسر والعلن، ودعاهم أفرادًا وجماعات ولم يزدهم كل ذلك إلا إصرارا وعنادًا على الشرك فقال: ﴿قالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهاراً۞ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلاَّ فِراراً۞ وَإِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً۞ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهاراً۞ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْراراً ۞

(63) سورة الأعراف: الآية 59.

(64) التفسير الوسيط، للزحيلي، دار الفكر – دمشق، ط1، 1422 هـ، 680/1.

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً۞ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً۞ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً, وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً۞ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً۞ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً۞ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتاً۞ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً۞ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطاً۞ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً﴾(65).

بعد أن ذكر سبحانه أن نوحا أمر أن ينذر قومه قبل أن يحل بهم بأس ربهم، وعظيم بطشه، وأنه لبّى نداءه، فأنذرهم وأمرهم بتقواه وطاعته، ليغفر ذنوبهم، ويمدّ في أعمارهم- أردف ذلك بمناجاته لربه وشكواه إليه، أنه أنذرهم بما أمره به، فعصوه وردّوا عليه ما أتاهم به من عنده، ولم يزدهم دعاؤه إلا إدبارا عنه، وهربا منه، وأنه كان يدعوهم تارة جهرة، وتارة سرّا، و أمر نوح -عليه السلام- قومه أن يطلبوا من ربهم مغفرة ذنوبهم، ليرسل المطر عليهم، ويمدهم بالأموال والبنين، ويجعل لهم الجنات والأنهار، ثم نبههم إلى عظمته تعالى، وواسع قدرته، ولفت أنظارهم إلى خلقه تعالى لهم أطوارا، وخلقه للسموات طباقا، وجعل القمر فيهن نورا، وجعل الشمس سراجا، وجعل الأرض كالبساط يتنقلون فيها من واد إلى واد، ومن قطر إلى قطر(66).

ولمّا لم يستجيبوا له واستكبروا واصروا على الشرك دعا الله -عز وجل- لينجيه ومن معه من المؤمنين من قومه ويهلك الآخرين قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ۞ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ۞ فَأَنْجَيْنَاهُ

(65) سورة نوح: الآيات 5-20.

(66) تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365 هـ - 1946 م، 29/81-82.

(ISSN : 2536 - 9555)

وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾[67]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾[68].

وتحققت دعوة نوح–عليه السلام– بعد رحلته الطويلة والشاقة مع قومه فنجاه الله ومن معه وأغرق المشركين من قومه، قال تعالى:﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ۞ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۞ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًافَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۞ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۞ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ۞ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[69].

وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾[70].

فَبَيَّنَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّهُ انْتَقَمَ لِأَوْلِيَائِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ، وأنجى رسوله والمؤمنين، وأهلك أعداءهم مِنَ الْكَافِرِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ* يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[71]، وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ وَالظَّفَرَ وَالْغَلَبَ لَهُمْ، كَمَا أهلك قوم نوح بِالْغَرَقِ وَنَجَّى نُوحًا وَأَصْحَابَهُ الْمُؤْمِنِينَ[72].

(67) سورة الشعراء،:الآيتان 117، 118.
(68) سورة نوح: الآيتان: 26، 27.
(69) سورة القمر: الآيات 10-15.
(70) سورة الأعراف: آية 64.
(71) سورة غَافِرَ: الآيتان 51، 52
(72) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 3/ 432- 433.

ثانيا- قصة هود عليه السلام مع قومه:

أرسل الله هودًا -عليه السلام- إلى قومه عاد، وكانوا يعبدون الأصنام، فأخذ هود- عليه السلام- يدعوهم إلى توحيد الله وترك عبادة الأصنام، قال تعالى: **﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ﴾**(73).

يقول تعالى: وأرسلنا إلى قوم عاد أخاهم هودًا، فقال لهم: "يا قوم اعبدوا الله" وحده لا شريك له، دون ما تعبدون من دونه من الآلهة والأوثان فليس لكم معبود يستحق العبادة عليكم غيره، فأخلصوا له العبادة وأفردوه بالألوهة وما أنتم في إشراككم معه الآلهة والأوثان إلا أهل فرية مكذبون، تختلقون الباطل، لأنه لا إله سواه(74).

ويبين لهم هود-عليه السلام- أن هذه الأصنام ليست إلا مجرد أسماء ولا حقيقة لمسمياتها وليس لها صفة الألوهية؛ لأنها من اختراع آبائهم فيقول لهم: ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾(75).

يقول هود -عليه السلام- قال -سبحانه وتعالى- أتخاصمونني في أسماء سمَّيتموها أصنامًا لا تضر ولا تنفع أنتم وآباؤكم... ما جعل الله لكم في عبادتكم إياها من حجة تحتجُّون بها، ولا معذرة تعتذرون بها، لأن العبادة إنما هي لمن ضرَّ ونفع، وأثابَ على الطاعة وعاقب على المعصية، ورزق ومنَع(76).

ولما استكبروا وأصروا على الشرك وعبادة الأصنام ذكرهم -عليه السلام- بنعم الله عليهم ليوصلهم إلى وجوب شكر المنعم بتوحيده, وترك عبادة الأصنام قال تعالى

(73) سورة هود: آية 50.

(74) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ينظر 357/15؛ مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، ينظر 363/18.

(75) سورة الأعراف: آية 71.

(76) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، 523/12.

(ISSN : 2536 - 9555)

عنه: **﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾**(77).

يقول هود –عليه السلام– لقومه يا قوم، اطلبوا المغفرة من الله على الشرك والكفر والذنوب السابقة، وأخلصوا التوبة له، وعما تستقبلون، فإذا استغفرتم وتبتم يرسل الله عليكم مطرا كثيرا متتابعا، وقد كانوا بأشد الحاجة إلى المطر بعد أن منعوه لأنهم أصحاب زروع وبساتين، ويزدكم قوة إلى قوتكم بالأموال والأولاد، وعزا إلى عزكم، وقد كانوا أشداء أقوياء يهمهم التفوق والغلبة على الناس، والاعتزاز بالقوة، كما قال تعالى: **﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ، وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً، فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**(78).

ولما ازداد قومه عنادًا واستكبارًا عن الحق أعلن براءته منهم ومن عبادتهم؛ لأنه متوكل على الله المتفرد بالألوهية: قال تعالى على لسانه: ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ۞ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ۞ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(79).

ولما تمادوا في طغيانهم وكفرهم بالله أرسل عليهم ﷻ ريحا صرصرا عاتية وأذاقهم ﷻ العذاب الشديد قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ۞ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ۞ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ۞ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾(80).

(77) سورة هود: آية 52.
(78) سورة الأعراف: آية 69.
(79) سورة هود: الآيات 54 – 56.
(80) سورة القمر: الآيات 19– 22.

قال المراغي: "قد أرسل الله عليهم ريحا عاصفا، لصوتها صرير حين هبوطها فى يوم شؤم عليهم، واستمر بهم البلاء حتى حل بهم الدمار، وكانت الريح لشدتها تقتلع الناس من الأرض وترفعهم إلى السماء ثم ترمى بهم على رءوسهم، فتندقّ رقابهم، وتبين من أجسامهم، فانظروا أيها المكذبون إلى ما حل بهم من العذاب جزاء تكذيبهم لرسوله، كما هي سنة الله في أمثالهم من المكذبين"[81].

فهذا الأسلوب معجز في لما فيه من زيادة العبرة والموعظة ولتذكير المؤمن دائماً بعاقبة المكذبين من الأمم السابقة، ليبقى في حالة يقظة وخشية مستمرة وخوف من عذاب الله تعالى، وفي حالة سرور وتفاؤل برحمة الله ووعده وأنه ينجي عباده المؤمنين.

المطلب الثالث

الجدل والمناظرة والحوار:

الجدل لغةً:

الجَدَل اللَّدَدُ في الخُصومة والقدرةُ عليها... وَمِنْه أُخِذ الجَدَلُ المَنْطِقيُّ: الَّذِي هُوَ القِياسُ المؤلَّفُ مِن المَشهُورات أَو المُسلَّمات ويقال جادَلْت الرجل فجَدَلته جَدْلاً أَي غلبته ورجل جَدِل إِذا كان أَقوى في الخِصام وجادَله أَي خاصمه مُجادلة وجِدالاً والاسم الجَدَل وهو شدَّة الخصومة... الجَدَل مقابلة الحجة بالحجة والمجادلة المناظرة والمخاصمة[82].

(81) تفسير المراغي، للمراغي، 86/27.

(82) لسان العرب، لابن منظور، انظر 103/11 ؛ تاج العروس، لمحمّد بن عبد الرزّاق بمرتضى، الزَّبيدي (ت: 1205هـ)، دار الهداية، د – ت، انظر 28 /194؛ القاموس المحيط، للفيروزآبادى (ت : 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد

(ISSN : 2536 - 9555)

الجدل اصطلاحًا:

مقابلة الأدلة؛ لظهور أرجحها، وهو محمود إن كان للوقوف على الحق، وإلاّ فمذموم"[83].

وقيل هو إخبار كلِّ واحد من المختلفين بحجته أو بما يقدر أنه حجته، وقد يكون كلاهما مبطلا، وقد يكون أحدهما محقا والآخر مبطلا إما في لفظه، وإما في مراده، أو في كليهما، ولا سبيل أن يكونا معا محقين في ألفاظهما ومعانيهما"[84].

أنواع الجدل:

النوع الأول– الجدل المحمود:

الجدل المحمود، وهو الذي يكون في طلب الحق بالأسلوب الحسن بعيداً عن الخصومة، ويهدف إلى إقرار الحق وتفنيد كل الدعاوى والشبهات التي تقف في طريقه، وهو منهج الدعاة إلى الله تعالى من الأنبياء وغيرهم، بأن يجادلوا المعاندين وأهل الباطل بالحجة والبرهان؛ لإثبات الحق والدفاع عنه ودفع حجج المبطلين، قال تعالى: **﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾**[85].

نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط8، 1426هـ – 2005 م، انظر 976/1.

(83) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لمحمد بن علي الفيومي (ت: نحو 770هـ)، المكتبة العلمية – بيروت، د – ت، 93/1.

(84) الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الأندلسي (ت: 456هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، قدم له: إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د – ت، 45/1.

(85) سورة النحل: آية 125.

ويقول تعالي: **﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾**(86).

النوع الثاني– الجدل المذموم:

الجدل المذموم، وهو الذي يدور في طلب المغالبة لا الحق، أو الذي فيه نوع من الخصومة واللدد، وتأجيج نار العداوة في النفوس، وإيغار القلوب، والتعنت، أو قصد منه الباطل أو مجرد التعالي على الخصم والغلبة عليه ومنه قوله تعالى: **﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾**(87)، وقوله تعالى: **﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾**(88)، وقوله تعالى: **﴿وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾**(89).

ما سبق يتبين لنا أن الجدل منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم، وأن وصفه بهذا أو ذاك يتوقف في المقام الأول علي الهدف المنشود من ورائه، والأدلة المستخدمة لتحقيق ذلك الهدف.

والمحمود ضربٌ من ضروب بيان الحق وتأييده، وقمع الباطل وتزهيقه، وقد استخدمه الله تعالى في القرآن الكريم كثيراً، وبأساليب شتى، وفي حالات متنوعة؛ من تنبيه لغافل، أو إرشاد لمُسترشد، أو إفحام لمعاند.

فالقرآن واجه الخصوم والمخالفين وتصدّى لهم، وناظرهم فيما يعتقدونه، وقطعهم بالحجة البالغة، والسلطان القاهر، فما استطاعوا له ردّاً، ولا عنه حِوَلاً.

---

(86) سورة العنكبوت: آية 46.

(87) سورة غافر: آية 4.

(88) سورة غافر: آية 5.

(89) سورة الزخرف: آية 58.

(ISSN : 2536 - 9555)

فاستخدم القرآن الكريم أسلوب التسليم الجدلي للمشركين ثم انتقض مقالاتهم قال تعالى: ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ۞ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[90].

يُنَزِّهُ اللهُ تَعالى نَفْسَهَ الكَرِيمَةَ عَنْ أَنْ يَكونَ لَهُ وَلَدٌ أو شَرِيكٌ في المُلْكِ والتَّصَرُّفِ والعِبَادَةِ، ويَقُولُ: إنَّه لَوْ كَانَ هناكَ أَكْثَرُ مِنْ إلهٍ لَطَلَبَ كُلٌّ مِنْهُم قَهْرَ الآخرِينَ، وَخِلافَهُم، ولَحَاوَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُم أنْ يُثْبِتَ سُلطَانَهُ، والاسْتِعَلاءَ على غَيرِهِ، فَتَعَالى اللهُ عُلُوّاً كَبِيراً، وتَنَزَّهَ عَمَّا يَقُولُه الظَّالِمُونَ المُعْتَدونَ في دَعْوَاهُم الوَلَدَ، والشَّرِيكَ لَهُ[91].

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى يحكي عن الأنبياء وأقوامهم: ﴿**قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ۞ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾[92].

يقول صاحب التحرير والتنوير: "هَذَا النَّوْعُ مِنَ الْقَوَادِحِ فِي عِلْمِ الْجَدَلِ شَدِيدُ الْوَقْعِ عَلَى الْمُنَاظِرِ، فَلَيْسَ قَوْلُ الرُّسُلِ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ تَقْرِيرًا لِلدَّلِيلِ وَلَكِنَّهُ تَمْهِيدٌ لِبَيَانِ غَلَطِ الْمُسْتَدِلِّ فِي الِاسْتِنْتَاجِ مِنْ دَلِيلِهِ... وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْمُمَاثَلَةَ فِي الْبَشَرِيَّةِ لَا تَقْتَضِي الْمُمَاثَلَةَ فِي زَائِدٍ عَلَيْهَا فَالْبَشَرُ كُلُّهُمْ عِبَادُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمُنُّ عَلَى مَنْ

(90) سورة المؤمنون: الآيتان 91–92.

(91) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (ت: 710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1998م، ينظر2 /479.

(92) سورة إبراهيم: الآيتان 10– 11.

يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِنِعَمٍ لَمْ يُعْطِهَا غَيْرَهُمْ. فَالِاسْتِدْرَاكُ رَفْعٌ لِمَا تَوَهَّمُوهُ مِنْ كَوْنِ الْمُمَاثَلَةِ فِي الْبَشَرِيَّةِ مُقْتَضَى الِاسْتِوَاءِ فِي كُلِّ خَصْلَةٍ.(93)

واستخدم الله عز وجل قياس الأولى في كتابه العزيز في عدة مواضع منها:

- قوله عز وجل: "**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ**"(94).
- وقوله عز وجل: "**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ**"(95).

ففي الآتيين السابقتين أثبت الله عز وجل حكم الشيء بناء على ثبوته لنظيره لأن من خلق شيئا يكون قادراً على أن يخلق مثله أو أقل منه.

- وقوله عز وجل: "**لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**"(96).

يقول النسفي: "لما كانت مجادلتهم في آيات الله مشتملة على إنكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها حجوا بخلق السموات والأرض لأنهم كانوا مقرين بأن الله خالقها، فإن من قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الإنسان مع مهانته أقدر"(97).

(93) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس،1984هـ، ينظر 202/13.

(94) سورة الروم: آية 27.

(95) سورة يس: آية 81.

(96) سورة غافر: آية57.

(97) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، 217/3.

(ISSN : 2536 - 9555)

واستخدم القرآن الكريم قياس الخلف(*)، ويسمى ببرهان التفنيد ويهدف الى دحض الخصم بجره الى التناقض مع خصمه(98)، ولقد سلك القرآن الكريم هذا المسلك في الاستدلال على وحدانية الله –ﷻ– وذلك في قوله تعالى: **﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾**(99).

يقول الزركشي: "وَهَذِهِ حُجَّةٌ عَقْلِيَّةٌ تَقْدِيرُهَا أَنَّهُ لَوْ كَانَ خَالِقَانِ لَاسْتَبَدَّ كُلٌّ مِنْهُمَا بِخَلْقِهِ فَكَانَ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدُهُمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآخَرُ وَيُؤَدِّي إِلَى تَنَاهِي"(100).

كما استخدم القرآن الكريم هذا الاستدلال في إثبات أن القرآن الكريم كلام الله–ﷻ– قال تعالى: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾**(101)، يقول– ﷻ– ألم يتأملوا في معاني القرآن ويتبصرون ما فيه، فلو كان من كلام البشر كما يزعمون، لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً من تناقض المعنى وتفاوت النظم، وكان بعضه فصيحاً وبعضه ركيكاً، وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل، ومطابقة بعض أخباره المستقبلة للواقع دون بعض، وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض، على ما دل عليه الاستقراء لنقصان

(*) هو الاستدلال الذي تبين فيه المطلوب من جهة تكذيب نقيضه. (انظر الهداية، لابن سينا، تحقيق: محمد إسماعيل عبده، مكتبة القاهرة الحديثة، د – ت، صـ 108)

(98) ربيع الفكر اليوناني، لعبد الرحمن بدوي، دار النهضة المصرية، ط4، 1969م، صـ122.

(99) سورة المؤمنون: آية 91.

(100) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (ت: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1376هـ – 1957م، 3/ 468.

(101) سورة النساء: آية 82.

القوة البشرية، الاختلاف والتناقض باطل لا وجود له في القرآن الكريم فثبت نقيضه وهو أنه محكم معجز [102].

وهكذا نلاحظ أسلوب القرآن الكريم الفريد في التعامل مع العصاة مستهدفا الحقائق في ذاتها مقيما عليها البراهين والحجج.

المبحث الثالث

المنهج الحسي في دعوة المشركين إلى التوحيد:

وسوف يندرج حديثي في هذا المبحث عبر مطلبين هما:

المطلب الأول

لفتُ الحسّ إلى التعرف على المحسوسات

للوصول عن طريقها إلى القناعات

إنَّ من أسباب الشرك تعطيل الحواس عن إدراك عظمة الخالق-ﷻ- في الأنفس والآفاق، قال تعالى في شأن الكافرين: **﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**[103].

فَالْخَتْمُ عَلَى الْقُلُوبِ: عَدَمُ الْوَعْيِ عَنِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ مَفْهُومَ مُخَاطَبَاتِهِ وَالْفِكْرَ فِي آيَاتِهِ، وَعَلَى السَّمْعِ: عَدَمُ فَهْمِهِمْ لِلْقُرْآنِ إِذَا تُلِيَ عَلَيْهِمْ أَوْ دُعُوا إِلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَلَى الْأَبْصَارِ: عَدَمُ هِدَايَتِهَا لِلنَّظَرِ فِي مَخْلُوقَاتِهِ وَعَجَائِبِ مَصْنُوعَاتِهِ[104].

---

(102) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ت: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1،- 1418 هـ، انظر 86/2.

(103) سورة البقرة: آية 7.

(104) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 186/1.

(ISSN : 2536 - 9555)

وأكد الله –ﷻ– على أن تعطيل الحواس وصرفها عن مشاهدة عظمة الله في الأنفس والآفاق، إفساد للفطرة وانحدارها إلى مرتبة أقل من مرتبة الحيوانات، قال تعالى:

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(105).

ولهذا فقد وجه القرآن الكريم حواس الإنسان، إلى تدبر آيات الله –ﷻ– للوقوف على قدرته وعظمته في الخلق والتكوين والإبداع والإتقان؛ ولتؤمن عن يقين وتصدق عن اقتناع، قال تعالى: **﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**(106).

يقول الخازن: "إن الله سبحانه وتعالى إنما أعطاكم هذه الحواس لتنتقلوا بها من الجهل إلى العلم، فجعل لكم السمع لتسمعوا به نصوص الكتاب، والسنة وهي الدلائل السمعية لتستدلوا بها على ما يصلحكم في أمر دينكم، وجعل لكم الأبصار لتبصروا بها عجائب مصنوعاته، وغرائب مخلوقاته، فتستدلوا بها على وحدانيته. وجعل لكم الأفئدة لتعقلوا بها، وتفهموا معاني الأشياء التي جعلها دلائل وحدانيته"(107).

ولقد استخدم القرآن الكريم المنهج الحسي في الدعوة إلى وحدانية الله –ﷻ– حينما وجه الناس إلى النظر في هذا الكون، قال تعالى: **(أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ**

(105) سورة الأعراف: آية 19.

(106) سورة النحل: آية 78.

(107) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (ت: 741هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 – 1415 هـ، 91/3.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ)[108].

يقول أبو السعود في تفسيره: وقولُه تعالى {مِن شَىْء} بيانٌ لما خلق مفيدٌ لعدم اختصاص الدِلالة المذكورة بجلائل المصنوعاتِ دون دقائِقها والمعنى أو لم ينظروا فى ملكوتُ السموات والأرض وما خُلق فيهما من جليل ودقيقٍ مما ينطلق عليه اسمُ الشيءِ، ليدلَّهم ذلك على العلم بوحدانيته تعالى وبسائر شئونه التي ينطِق بها تلك الآياتُ فيؤمنوا بها لاتحادهما في المدلول، فإن كلَّ فردٍ من أفراد الأكوانِ مما عزوهان دليلٌ لائحٌ على الصانع المجيد وسبيلٌ واضحٌ إلى عالم التوحيد"[109].

ولذلك لفت القرآن الكريم الحواس إلى المشاهدات الكونية بالنظر إليها والتأمل فيها، للتوصل إلى وجود الله ووحدانيته، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ۞ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۞ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ۞ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ۞ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ۞ رِزْقاً لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾[110].

وقال تعالى: ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۞ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ۞ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ۞ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾[111].

---

(108) سورة الأعراف: آية 185.

(109) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي (ت: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د – ت، 299/3.

(110) سورة ق: الآيات 6-11.

(111) سورة الغاشية: الآيات 17-21.

(ISSN : 2536 - 9555)

فهذه الآيات الكريمة وغيرها من الآيات تشد عقول الناس وأنظارهم، للتدبر في ملكوت السموات والأرض، وما فيها من عظمة وحكمة ودقة وتوازن وانسجام، بأسلوب مشوق يستهوي النفس، ويستثير المشاعر والأحاسيس، للاستدلال بهذه الظواهر على وحدانية الله وتفرده في الربوبية والألوهية.

المطلب الثاني

تأييد الأنبياء والمرسلين عليهم السلام بالمعجزات(*) الحسية

إن الله – ﷻ– أرسل الأنبياء والمرسلين، وأنزل لهم الحق المبين، ليكونوا هداة مهتدين للناس أجمعين، وأيدهم بالكثير من الخصائص والآيات والمعجزات، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، ومع ذلك كله منهم من آمن ومنهم من كفر وسوف يقتصر حديثنا في هذا المبحث على معجزات بعض الأنبياء.

- **فِيمَا أُوتِيَ مُوسَى–عليه السلام– مِنَ المعجزات:**

لقد أوتي نبي الله موسى –عليه السلام– العديد من الْآيَاتِ البينات، وأعظمهن تسع آيات، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ**﴾(112)، والآيات التسع هي:

- العصا في انقلابها حية تسعى بإذن الله –ﷻ– حينما يلقيها على الأرض قال تعالى: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ۞ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ**

(*) الْمُعْجِزَةُ هِيَ الْفِعْلُ الْخَارِقُ لِلْعَادَةِ الْمَقْرُونُ بِالتَّحَدِّي السَّالِمِ مِنَ الْمُعَارَضَةِ. (ينظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، تحقيق وتعليق: علي بن حسن بن ناصر وعبدالعزيز بن ابراهيم العسكر وحمدان بن محمد الحمدان، دار العاصمة – الرياض، ط2، 1419هـ – 1999م، (43/2).

(112) سورة الْإِسْرَاءِ: آية 101.

بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى۞ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى۞ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى۞ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾(113).

– إدخال يده في جيبه وإخراجها بيضاء من غير سوء قال تعالى: **﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾**(114)، فقد كان موسى– عليه السلام– يدخل يده في جيبه– درعه– تخرج بيضاء كقطعة قمر يتلألأ إضاءة، من غير سوء أي من غير برص أو بهق:

– أخذهم بالسنين، وهي إصابتهم بالجدب والقحط بسبب قلة المياه.

– نقص الثمرات عن طريق منع الأرض خيرها.

– الطوفان الذي يتلف المزارع ويهدم القرى.

– الجراد فأكل زروعهم وثمارهم وأبوابهم وسقوفهم وثيابهم.

– القمل، وهو السوس الذي يأكل الحنطة فلا يدع إلا قشرها، وقيل صغار الجراد؛ الذي لا أجنحة له، أو هو قمل الرأس المعروف.

– الضفادع فملأت آنيتهم وأطعمتهم ومضاجعهم.

– الدم فصارت أنهارهم وآبارهم دمًا، ولم يجدوا ماء صالحًا للشرب.

وفي هذا يقول تعالى: **﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۞ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَقَالُوا مَهْمَا**

(113) سورة طه: الآيات 17–21.

(114) سورة طه: آية 22.

(ISSN : 2536 - 9555)

تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ۞ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾[115].

ومما تجدر الإشارة إليه إن الله –ﷻ– لم يكتف بالآيات التسع التي أيد بها موسى–عليه السلام– بل أجرى على يديه معجزات أخرى، منها: ضرب موسى البحر بعصاه وانفلاقه، ضرب الحجر فينفلق عن اثنتي عشرة عينا، وإنزال المن والسلوى على بني إسرائيل إلى غير ذلك من المعجزات.

وفي هذا السياق يقول ابن كثير– رحمه الله–: "والذي عليه الجمهور هو العصا في انقلابها حية تسعى، واليد إذا أدخل يده في جيب درعه ثم أخرجها تضيء كقطعة قمر يتلألأ إضاءة، ودعاؤه على قوم فرعون حين كذبوه فأرسل عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات، وكذلك أخذهم الله بالسنين، وهي نقص الحبوب، وبالجدب، وهو نقص الثمار، وبالموت الذريع، وهو نقص الأنفس، ومنها فلق البحر لإنجاء بني إسرائيل وإغراق آل فرعون، ومنها تظليل بني إسرائيل في التيه بالغمام، وإنزال المن والسلوى عليهم، واستسقاؤه لهم، فجعل الله ماءهم يخرج من حجر يحمل معهم على دابة، له أربعة وجوه، إذا ضربه موسى بعصاه يخرج من كل وجه ثلاثة أعين، لكل سبط عين، ثم يضربه فيقلع، وقتل كل من عبد العجل منهم ثم أحياهم الله تعالى، وقصة البقرة، إلى غير ذلك من الآيات الباهرات[116].

(115) سورة الأعراف: الآيات130- 133.

(116) البداية والنهاية، لابن كثير، انظر: (9/345–346).

- فيما أوتي المسيح(*) عيسى ابن مريم -عليه السلام- من معجزات:

إن نبي الله عيسى -عليه السلام- مُيِّزَ بخصائص ميزته عن بقية الأنبياء، فمِنْ خَصَائِصِهِ -عليه السلام-، أنه مَخْلُوقٌ بِالْكَلِمَةِ مِنْ أُنْثَى بِلَا ذَكَرٍ، حينما نفخ جِبْرِيلَ فِي فَرْجِ مَرْيَمَ، فَخَلَقَه اللَّهُ -عز وجل- من ذلك(117).

ولقد أيد الله -عز وجل- نبيه ورسوله عيسى-عليه السلام- بآيات ومعجزات عده منها:

- تكليم الناس وهو صبي في المهد قال تعالى: **﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾**(118).

قال ابن كثير: "أَيْ: يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فِي حَالِ صِغَرِهِ، مُعْجِزَةً وَآيَةً، وَفِي حَالِ كُهُولِيَّتِهِ حِينَ يُوحِي اللَّهُ إِلَيْهِ بِذَلِكَ"(119).

- إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم.
- إبراء الأكمه والأبرص بإذن الله، وأنبأ الناس بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم، ودعا إلى الله وإلى عبادته، متبعا سنة إخوانه المرسلين مصدقا لمن قبله ومبشرا بمن يأتي بعده(120).

(*) وردت عدة أسباب لتسميته بالمسيح، قيل: لمسحه الأرض، وقيل: لمسح قدمه، وقيل: لخروجه من بطن أمه ممسوحا بالدهان، وقيل: لمسح جبريل له بالبركة، وقيل: لمسح الله الذنوب عنه، وقيل: لأنه كان لا يمسح أحدا إلا برئ، حكاها كلها الحافظ أبو نعيم رحمه الله. البداية والنهاية، لابن كثير، (389/9).

(117) البداية والنهاية، لابن كثير، انظر: (390/9).

(118) سورة آل عمران: آية 46.

(119) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 43/2.

(120) مجموع الفتاوى، لابن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، تحقيق: أنور الباز- عامر الجزار، دار الوفاء، ط2، 14 26 هـ / 2005 م، انظر: (606/28).

(ISSN : 2536 - 9555)

قال تعالى: ﴿**وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[121].

وقال تعالى: ﴿**... وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي...**﴾[122].

- المعجزات الحسية للنبي محمد -ﷺ-:

لقد تميزت الدعوة المحمدية بالمنهج القويم السديد، الذي أُيِدَ بالمعجزات الحسية التي هي الدليل على صدق نبينا محمد -ﷺ-، المرسل من عند الله، فالمعجزات دلالات صدق الأنبياء، ووسيلة الناس إلى التصديق والإيمان بالنبي المرسل.

وَلقد تعددت المعجزات الحسية لنبينا محمد -ﷺ- ويمكن تقسيمها إلى قسمين على النحو الآتي:

1. **المعجزات السماوية:** (أي: المتعلقة بالسماء وما فيها) مثل: انشقاق القمر، الاستسقاء والاستصحاء والإسراء والمعراج[123]، ومن أعظم ذلك كله انشقاق القمر المنير فرقتين، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**اقْتَرَبَتِ**

(121) سورة آل عمران: آية 49.

(122) سورة آل عمران: آية 49.

(123) البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1418هـ - 1997م، انظر (589/8)، (284/4).

السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[124]، وقد اتفق العلماء مع بقية الأئمة على أن انشقاق القمر كان في عهد رسول الله -ﷺ-، وقد وردت الأحاديث بذلك من طرق تفيد القطع عند الأمة[125].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: انْشَقَّ القَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّه-ﷺ- شِقَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ-ﷺ-: "اشْهَدُوا"[126].

2. **المعجزات الأرضية:** وهي كثيرة ومتنوعة، كالمعجزات المتعلقة بالإنسان والحيوان والنبات والجماد وغير ذلك، فمنها ما هو متعلق بالإنسان كتفله -ﷺ- على الجروح والأمراض وشفائها، ومنها ما هو متعلق بالحيوان كسجود البعير للنبي -ﷺ- وشهادة الضب وغير ذلك، ومنها ما هو متعلق بالنبات كتسليم الشجر عليه وإجابة دعوته-ﷺ-، ومنها ما هو متعلق بالجمادات كتسليم الحجر عليه ونبع الماء من بين أصابعه -ﷺ-، ومنها ما هو متعلق بإجابة دعائه ﷺ كدعائه للصحابة واستجابة دعائه فيهم، ومن ذلك أيضا إخباره ﷺ بالمغيّبات التي تحقق وقوع بعضها وينتظر تحقق البعض الآخر[127].

قال ابن حجر- رحمه الله-: "وَأَمَّا مَا عَدَا الْقُرْآنَ مِنْ نَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَتَكْثِيرِ الطَّعَامِ وَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ وَنُطْقِ الْجَمَادِ، فَمِنْهُ مَا وَقَعَ التَّحَدِّي بِهِ،

(124) سورة الْقَمَرِ: آية 1.
(125) البداية والنهاية، لابن كثير، انظر: (558/8).
(126) صحيح البخاري، كتاب المناقب، بَابُ سُؤَالِ المُشْرِكِينَ أَنْ يُرِيَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيَةً، فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ القَمَرِ، (3636/4)؛ صحيح مسلم، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، باب انشقاق القمر، (2800/4).
(127) البداية والنهاية، لابن كثير، انظر (604/8) .

(ISSN : 2536 - 9555)

وَمِنْهُ مَا وَقَعَ دَالًّا عَلَى صِدْقِهِ مِنْ غَيْرِ سَبْقِ تَحَدٍّ، وَمَجْمُوعُ ذَلِكَ يُفِيدُ الْقَطْعَ بِأَنَّهُ ظَهَرَ عَلَى يَدِهِ –ﷺ– مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ شَيْءٌ كَثِير"[128].

ولقد وردت عدة أحاديث في السنة النبوية تبين معجزات وآيات نبينا محمد–ﷺ–، منها تكثير الماء، عَنْ أَنَسٍ–رضي الله عنه–، قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ –ﷺ– بِإِنَاءٍ، وَهُوَ بِالزَّوْرَاءِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ: "فَجَعَلَ المَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ القَوْمُ قَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: ثَلاَثَ مِائَةٍ، أَوْ زُهَاءَ ثَلاَثِ مِائَةٍ"[129].

ومن معجزاته أيضاً: حنين الجذع إليه، فعنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ –رضي الله عنه–، أَنَّ النَّبِيَّ –ﷺ–: كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، أَوْ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا؟ قَالَ: "إِنْ شِئْتُمْ"، فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى المِنْبَرِ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ–ﷺ– فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ. قَالَ: "كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا"[130].

ومما سبق يتضح لنا أهمية هذا المنهج في الدعوة الى وحدانية الله –ﷻ– لسرعة تأثيره واعتماده على المحسوسات التي يُسلم بها كل إنسان، وعمق تأثيره في النفوس البشرية؛ لمعاينتها الشيء المحسوس.

(128) فتح الباري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه، دار المعرفة – بيروت، 1379هـ، انظر (582/6).

(129) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (3572/4). و (الزوراء) اسم موضع في سوق المدينة تلك الأيام، (زهاء) مقدار. حاشية صحيح البخاري نفس الصفحة.

(130) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (3584/4).

الخاتمة

1. إن المنهج القرآني يوافق الفطرة ويناسب جميع العقول، وأدلته برهانية يقينية، لا تثير شكوكًا ولا ريبًا.
2. إعجاز المنهج القرآني في إثبات القضايا حيث خاطب جميع حواس الإنسان من عقل وفكر ووجدان وخاطب جميع الناس على اختلاف مستوياتهم الفكرية في كل زمان ومكان.
3. لم يعتمد المنهج القرآني على العقل والحواس فقط، بل الإدراك الروحي أيضاً في الوصول إلى الحقيقة.
4. إن ضرب المثل من الوسائل التي أثبت الله تعالى بها قدرته العظيمة، وعجز كل ما يعبد من دونه، وأنه من الأساليب التي اتخذها القرآن في إقامة الحجة على المشركين، حيث أظهر الشرك في صور ملموسة محسوسة.
5. إن القرآن الكريم ضرب الأمثال في دعوته إلى توحيد الله عز وجل لما فيها من التقريب للأذهان وإظهاره بصورة المحسوس.
6. دعا القرآن الكريم المشركين إلى التأمل في مصير المكذبين من الأمم السابقة، لأخذ الدرس والعبرة بسنن الله في الخلق.
7. استعمال القرآن الكريم أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة كما استعمل معهم أسلوب القصة لتقرير التوحيد بأبلغ أسلوب، وأقوى حجة، ونفي للشرك بأوضح بيان.
8. إن القرآن دعا للتوحيد بالتذكير بنعم الله تعالى التي لا تعد ولا تحصى، والتي امتن الله بها على جميع مخلوقاته، لعلهم يشكرون الله ويؤمنون به.
9. إن التعرف على المحسوسات يوصل إلى القناعة بوجود الله –ﷻ– فيخاطب المسلم ليزداد إيمانًا، ويخاطب غير المسلم لإقامة الحجة به على توحيد الله ونفي الشريك عنه.

(ISSN : 2536 - 9555)

10. إن منهج القرآن الكريم خلف مناهج المتكلمين والفلاسفة في الاستدلال على وحدانية الله عز وجل، فهو منهج رباني خال من الأهواء والبدع ومناسب لجميع الناس.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم برواية حفص.
2. أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، 1421هـ-2001م.
3. الأمثال في القرآن، لابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، مكتبة الصحابة- مصر- طنطا، ط1، 1406هـ-1986م.
4. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ت: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1- 1418هـ.
5. الإحكام في أصول الأحكام ،لابن حزم الأندلسي (ت: 456هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، قدم له: إحسان عباس، دار الآفاق، بيروت، د-ت.
6. الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1394هـ/ 1974م.
7. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي (ت: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، د – ت.
8. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1411هـ-1991م.
9. البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1418هـ - 1997م.

10. البرهان في علوم القرآن، للزركشي (ت: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1376هـ - 1957م.
11. تاج العروس، لمحمّد بن عبد الرزّاق بمرتضى، الزَّبيدي(ت: 1205هـ)، دار الهداية، د - ت.
12. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر- تونس، 1984هـ.
13. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (ت: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999م.
14. تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ- 1946م.
15. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر- دمشق، ط2، 1418هـ.
16. التفسير الوسيط، للزحيلي، دار الفكر- دمشق، ط1، 1422هـ.
17. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط1، 1998م.
18. جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م.
19. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م.
20. جمهرة اللغة، لأبي بكر الأزدي (ت: 321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت ، ط1، 1987م.

(ISSN : 2536 - 9555)

21. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، تحقيق وتعليق: علي بن حسن بن ناصر وعبدالعزيز بن ابراهيم العسكر وحمدان بن محمد الحمدان، دار العاصمة – الرياض، ط2، 1419هـ – 1999م.
22. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي (ت: 875هـ)، تحقيق: محمد علي معوض و عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1 – 1418هـ.
23. ربيع الفكر اليوناني، لعبد الرحمن بدوي، دار النهضة المصرية، ط4، 1969م.
24. الرد الجميل على المشككين في الإسلام من القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، عبد المجيد حامد صبح، دار المنارة للنشر والتوزيع والترجمة، المنصورة – مصر، ط2، 1424هـ – 2003م.
25. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط4، 1407هـ – 1987م.
26. صحيح البخاري ، للبخاري ،تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ط1، 1422هـ.
27. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، د– ت.
28. عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، لمحمد أحمد ملكاوي، مكتبة دار الزمان، ط1، 1405هـ – 1985م.
29. العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 170هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د– ت.

30. فتح الباري، لابن حجر ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة– بيروت، 1379 هـ.
31. فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، لسعيد بن علي بن وهب القحطاني، رسالة دكتوراه منشورة، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط1، 1421هـ.
32. الفوائد، لابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، دار الكتب العلمية– بيروت، ط2، 1393هـ - 1973م.
33. القاموس المحيط، للفيروزآبادى (ت: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط8، 1426هـ - 2005م.
34. لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (ت: 741هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 - 1415هـ.
35. لسان العرب، لابن منظور، دار صادر – بيروت، ط3 - 1414 هـ.
36. مجمل اللغة ،لابن فارس (ت: 395هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط2- 1406 هـ - 1986م.
37. مجموع الفتاوى، لابن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، ط2، 1426هـ / 2005م.
38. مختار الصحاح، لأبي بكر الرازي (ت: 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط5، 1420هـ / 1999م.

(ISSN : 2536 - 9555)

39. مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، للنسفي (ت: 710هـ) ، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت ،ط1، 1419 هـ – 1998م.

40. المدخل إلى علم الدعوة ، لمحمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1412هـ.

41. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لمحمد بن علي الفيومي (ت: نحو 770هـ)، المكتبة العلمية – بيروت، د – ت.

42. معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (ت: 510هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط1، 1420هـ.

43. معجم الصحاح، للجوهري (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط4، 1407هـ – 1987م.

44. مفاتيح الغيب ، لفخر الدين الرازي (ت: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3 – 1420 هـ.

45. مناهج البحث العلمي، لعبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية ، القاهرة، 1968م.

46. نشأة الفكر الفلسفي عند المسلمين، لعلي سامي النشار، دار المعارف، القاهرة ، ط3، 1965م.

47. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (ت: 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م.

48. الهداية، لابن سينا، تحقيق: محمد إسماعيل عبده، مكتبة القاهرة الحديثة، د– ت.